الاتجاهات في القرآن الكريم

مقاصدها وأسرارها البلاغية

إعداد

د / مشعل بن فيحان بن بلَّاش العصيمي

أستاذ البلاغة والنَّقد المساعد بالكليَّة الجامعيَّة برنية

بقسم الدِّراسات الإنسانيَّة بجامعة الطَّائف

١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م

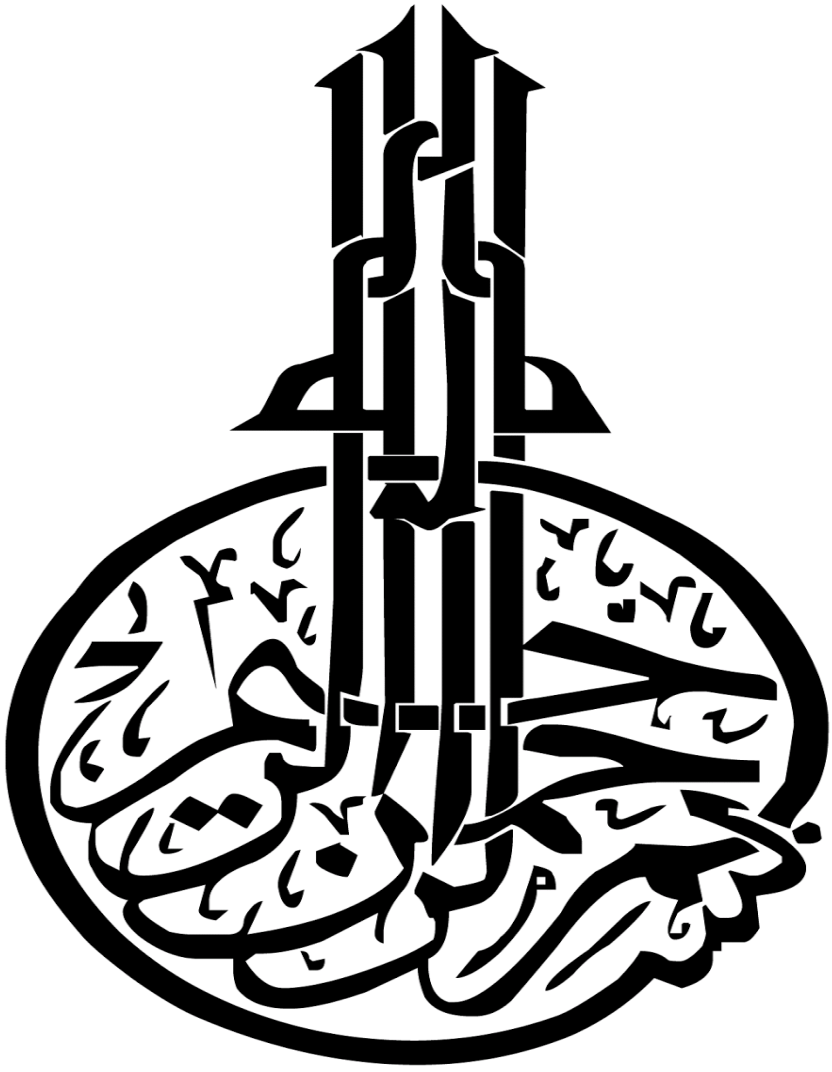

الاتِّجاهات في القرآن الكريم ــ مقاصدها وأسرارها البلاغيَّة.

مشعل بن فيحان بن بَلّاش العصيمي.
قسم الدِّراسات الإنسانيَّة-البلاغة والنَّقد -الكليَّة الجامعيَّة برنية -جامعة الطَّائف
البريد الإلكتروني:
mashalplus@hotmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة الألفاظ ذات المدلول الاتِّجاهي في القرآن الكريم، وهي: شرق، وغرب، ويمين، وشمال، وأعلىٰ، وفوق، وتحت، وأدنىٰ، ودون، وأمام، وأسفل، وخلف، ووراء، وجانب، من حيث بيان معانيها، واستخراج أساليبها البلاغيَّة، وبيان مكامن أسرارها، ويهدف البحث إلىٰ بيان معاني الاتِّجاهات الواردة في القرآن الكريم، واستنباط مدلولاتها، والكشف عن أسرارها البلاغيَّة من خلال تحليل شواهدها. أمَّا الأسباب الَّتي دعتني إلىٰ اختيار هذا الموضوع، هو دراسة الأساليب البلاغيَّة الواردة في هذه الاتِّجاهات في القرآن الكريم، والنَّظر والتَّأمل في بيان نظمه، ودقَّة تراكيبه، وشغف الباحث في دراسة شواهد الاتِّجاهات الواردة في القرآن، منقِّبًا عن معانٍ خاصَّة انفردت بها، واتَّبع الباحث المنهج: التَّحليلي؛ لدراسة الأساليب البلاغيَّة لمدلولات ألفاظ الاتِّجاه الواردة في القرآن الكريم، من خلال دراسة معانيها، واستخراج أساليبها، وتحليل دقائقها، وبيان أسرار إيثار كلماتها.

الكلمات المفتاحيَّة: بلاغة، اتِّجاه، اتِّجاهات.

❁❁❁❁❁

The purposes of directions in the Holy Qur'an and its rhetorical secrets

Meshal Ibn Fehan Al-Osaimi
Associate professor of Rhetoric and Criticism,
Department of Human Studies, Taif University
E-mail: mashalplus@hotmail.com

Abstract:

This research deals with the study of the words with directional significance in the Holy Qur'an: east, west, right, north, up, above, under, below, down, in front, below, behind, and side, in terms of clarifying their meanings, extracting their rhetorical methods and clarifying the secrets of its secrets. The research aims to clarify the meanings of the directions contained in the Holy Qur'an, elicit their implications, and reveal their rhetorical secrets by analyzing their evidence. As for the reasons that made me choose this topic, it is to study the rhetorical methods mentioned in these directions in the Holy Qur'an, to consider the statement of its systems, and the accuracy of its structures. The researcher's passion in studying the evidence of the directions contained in the Qur'an, searching for special meanings, and the researcher followed the analytical method to study the rhetorical secrets of the meanings of the direction contained in the Holy Qur'an, by studying their meanings, extracting their methods, analyzing their subtleties, and clarifying the secrets of preferring their words.

Keywords: Rhetoric, Direction, Directions.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه الطَّيبين الأخيار، أمَّا بعد:

فإنَّ علم البلاغة العربيَّة من أجلِّ العلوم قدرًا، ومن أدقِّها سرًّا، وأعظمها منزلة، وأسماها مكانة، لما يحمل في طيَّاته كثيرًا من النُّكت اللَّطيفة، والأساليب الرَّفيعة؛ ممَّا يزيد الثَّراء في الدَّرس البلاغي.

وعلىٰ هذا، فإنَّ الباحث تناول في دراسته ما جاء ذكره في ألفاظ الاتِّجاهات في القرآن الكريم، وهي: شرق، وغرب، ويمين، وشمال، وأعلىٰ، وفوق، وتحت، وأدنىٰ، ودون، وأمام وأسفل، وخلف، ووراء، وجانب، من خلال ذكر معانيها الواردة في الذِّكر الحكيم، وتوضيح الأساليب البلاغيَّة في الشَّاهد القرآني، والخوض في سبر أغوار أسرارها؛ لبيان شيء من إعجاز القرآن الكريم.

وتبلغ أهمية هذه الدِّراسة بمكان في محاولة جمع ودراسة ألفاظ الاتِّجاهات الرئيسة الواردة في القرآن الكريم، واستخراج أساليبها البلاغيَّة، واستجلاء ما بها من مكنونات وأسرار بلاغيَّة.

ومن الأسباب الَّتي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع، والسَّعي إلى دراسته، وتحليل شواهده، ما يأتي:

١. دراسة الأساليب البلاغيَّة الواردة في هذه الاتِّجاهات في القرآن الكريم، والنَّظر والتَّأمل في بيان نظمه، ودقَّة تراكيبه.

٢. ورود ألفاظ الاتِّجاهات بمعانٍ خاصة في النَّظم القرآني؛ ممَّا يشكِّل أهميَّة بالغة في دراستها من جهة بلاغيَّة.

٣. الإسهام ـ ولو بنزر قليل ـ في إبراز جانب من جوانب بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

٤. لم يتبيَّن لي من خلال البحث والاستقراء والمعاينة عن دراسات تناولت هذا الموضوع، وأحسب أنَّها فكرة لم تدرس بلاغيًّا، من خلال جمع شواهدها، ودراسة بيانها، واستنباط أسرارها.

وسار الباحث علىٰ المنهج التَّحليلي؛ لدراسة الأساليب البلاغيَّة لمدلولات ألفاظ الاتِّجاه الواردة في القرآن الكريم، من خلال دراسة معانيها، واستخراج أساليبها، وتحليل دقائقها، وبيان أسرار إيثار كلماتها.

ولأجل تحقيق أهداف هذا البحث، جعلت البحث على النَّحو الآتي:

أولًا: المقدِّمة، وتحدَّثت فيها عن أهميَّة البحث، وبيان أسباب اختياري له، والمنهج الَّذي اعتمدت عليه.

ثانيًا: التَّمهيد، وتناولت فيه التَّعريف اللُّغوي لمفردة (الاتِّجاهات) عند العلماء الأوائل بصورة موجزة.

ثالثًا: صلب البحث، وجاء على أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: المشرق والمغرب في القرآن الكريم.

المبحث الثَّاني: اليمين والشِّمال في القرآن الكريم.

المبحث الثّالث: العلوُّ والدُّنو في القرآن الكريم.

المبحث الرَّابع: الخلف والأمام والجانب في القرآن الكريم.

ثالثًا: الخاتمة، وفيها بيان لأهم ما توصَّل إليه الباحث من نتائج.

رابعًا: قائمة المصادر والمراجع.

وأخيرًا، أسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، وإظهار شيء ممَّا بطن منه، وأن يعفو عنِّي الزَّلل والخطأ، وأن يوفقني لما هو صلاح في ديني ودنياي.

التَّمهيد

الاتِّجاهات في اللُّغة والقرآن

تعدَّد مفهوم الاتِّجاه عند علماء اللُّغة، فمنهم من يرىٰ أنَّ الاتِّجاه من تجه يتجه بمعنىٰ اتجه، وليس من لفظه؛ لأنَّ اتجه من لفظ الوجه، وتجه من (هـ ج ت)، وليس محذوفًا من (اتجه)، كـ (تقىٰ يتقي)، إذ لو كان كذلك لقيل: تجه[1].

وقد يكون الاتِّجاه من اتجه له الشَّيءُ: أي تَيَسّر، واتجهوا: إِذا واجه بعضهم بعضًا[2].

وقيل: اتَّجهَ اتِّجاهًا، فهو مُتّجِه، والمفعول مُتَّجَه إليه، واتَّجه إلىٰ الحدود أو نحوها: أقبَل عليها وقصَدها، كاتَّجه الشَّخص إلىٰ البيت- اتَّجه الطالب إلىٰ المحاماة/ دراسة الطِّبّ- اتّجه الصاروخ بدقَّة نحو الهَدَف[3].

قيل: الوجه، بالضَّم أو الكسر، هي الجانب أو النَّاحية[4].

وقيل: الوجه النَّوع والقسم، يقال الكلام فيه علىٰ وجوه، وعلىٰ أربعة وجوه، ووجوه القرآن معانيه، ويطلق الوجه علىٰ الذَّات... وعلىٰ القصد[5].

وهناك آيات دلَّت علىٰ الوَجْه، ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ ﴿آل عمران: ٢٠﴾، وأخواته من نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ ﴿الأنعام: ٧٩﴾، أَو علىٰ الاستعارة للمَذْهب والطريق[6].

---

(١) ينظر: لسان لعرب: مادَّة: وجه.

(٢) ينظر: شمس العلوم: مادَّة: وجه.

(٣) ينظر: معجم اللغة المعاصرة: مادَّة: وجه.

(٤) ينظر: القاموس المحيط: مادَّة: وجه.

(٥) ينظر: تاج العروس: مادَّة وجه.

(٦) ينظر: بصائر ذوي التَّمييز: / ١٦٧

ومن خلال ما ذكر من تعريفات لهذه اللَّفظة، تتَّجه المفردة إلىٰ الاتِّجاه المقصود إلىٰ أي ناحية كانت، أو من مواجهة الشَّخص، فهو مواجه له، أو من الطريق المتَّجه له.

فقد تعدَّدت الاتِّجاهات إلىٰ كثير من المقاصد، فهناك الاتِّجاه النفسي، والاتِّجاه الاجتماعي، والاتِّجاه التَّربوي، وغير ذلك، ولكن الَّذي يهمنا في هذا البحث، هو الاتِّجاه الجغرافي فحسب.

وقد تناول الباحث بلاغة الاتِّجاهات الأصليَّة الواردة في القرآن الكريم، وهي جهة: الشَّرق، والغرب، ولم ترد جهة الجنوب والشَّمال (بفتح الشِّين)، وكذلك الجهات الَّتي لها دلالات واتجاهات جغرافيَّة أخرىٰ، مثل: يمين، وشمال، وأعلىٰ، وفوق، وتحت، وأدنىٰ، ودون، وأمام وأسفل، وخلف، ووراء، وجانب.

إذ وردت لفظتا (الشرق والغرب) في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا، و(اليمين) في أربعة وثلاثين موضعًا، و(الشِّمال) في عشرة مواضع، و(أعلىٰ) في أربعة وستين شاهدًا، و(فوق) في اثنين وأربعين شاهدًا، و(أسفل) في عشرة مواضع، و(تحت) في خمسين شاهدًا، و(دنا) في مئة وخمسة وسبعين شاهدًا، و(دون) في مئة وخمسة وأربعين شاهدًا، و(خلف) في اثنين وثلاثين شاهدًا، و(وراء) في أربعة وعشرين شاهدًا، ولم ترد (أمام) في القرآن الكريم إلَّا مرَّة واحدة، وأمّا لفظة (جانب) في سبعة عشر موضعًا.

المبحث الأول: المشرق والمغرب في القرآن الكريم.

وردت هاتان اللَّفظتان في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، منها ما جاءت علىٰ ظاهرها المتعارف عليه، ومنها ما يحمل في طيَّاتها العديد من المعاني الفريدة، ويعدُّ هذا من الثَّراء اللُّغوي والبلاغي.

ورد في المعاجم تعريف المشْرِق بأنَّها: كلُّ مَا طلع من المشرق فقد شَرَّق. والشُّروق كالطُّلوع، ويقال لكلِّ شيء طلع من قبل المشرق، وجمعه أشراق[1]، قال كُثَيِّر عَزَّة:

إِذَا ضَـرَبُوا يَوْمًـا بِهَـا الْآلُ، زَيَّنُوا مَسـاندَ أَشْـراقٍ بِهَا ومَغاربِ[2]

والمغرب: غرب: والغَرْبُ والمغْرِبُ: بمعنىٰ واحد. وقيل: الغَرب خلاف الشَّرق، وهو المغرب. والغُروب: غيوب الشَّمس. غربت الشَّمس تغرب غروبًا ومُغَيْرِبانًا: غابت في المغرب[3].

وقد ذُكرت لفظتا (المشرق والمغرب) في القرآن الكريم بصيغها المختلفة – الإفراد، والتَّثنية، والجمع – في سبعة عشر موضعًا، وإذ وردتا معًا في أحد عشر موضعًا ، وانفردت كلٌّ منها علىٰ حدة في ستَّة مواضع.

لكن، ثمَّة تساؤلات حول هاتين المفردتين لمستقرئ هذه الآيات، وهي:

ـ هل أتت جميع الآيات بمدلولها الجغرافي علىٰ الإطلاق؟

ـ هل من معانٍ خاصة انفردت بها في القرآن الكريم؟

---

(١) ينظر: لسان العرب: مادَّة: شرق.

(٢) ديوان كثيِّر عزَّة: ٣٤١.

(٣)ينظر: لسان العرب: مادَّة: غرب.

ـ هل هناك سمات تميَّزت بها هاتان اللَّفظتان؟

وبالنَّظر والتَّمعن في آيات (المشرق) و(المغرب) في القرآن الكريم، يلحظ مجيئها علىٰ الجهة الجغرافيَّة المعروفة علىٰ الأصل، فمدلول (المشرق) جاءت علىٰ جهة الشَّرق، ودلالة (المغرب) جاءت علىٰ جهة الغرب، لكن يتخللها معانٍ خاصَّة بالقرآن الكريم يدلُّ عليه السِّياق(١)، فمثلًا لفظة (المشرق) جاءت بمعنىٰ خصوصيَّة الجهة(٢)،وفي النَّور والإضاءة(٣)، وفي وقت الإشراق(٤).

وأيضًا جاءت لفظة (المغرب) بمعنيين كريمين في القرآن الكريم(٥)، وهما: خصوصيَّة الاتِّجاه(٦)، والاختفاء(٧).

ولم يرد في القرآن الكريم بقيَّة الجهات، وأقصد بذلك جهة (الجنوب)، و(الشَّمال) ـ بفتح الشِّين ــ وإنَّما ورد بلفظة (الشِّمال) بكسر الشِّين.

---

(١) ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٦٢٤

(٢)قال تعالىٰ: ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ النور:٣٥

(٣)قال تعالىٰ: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ الزمر:٦٩

(٤)قال تعالىٰ: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ الشعراء:٦٠

(٥) ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٨١٠

(٦)قال تعالىٰ: ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ النور:٣٥

(٧) قال تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ الكهف: ٨٦

ومن الشَّواهد علىٰ لفظتي (المشرق) و(المغرب) في القرآن الكريم، قول الله تعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾﴿المزمل: ٩﴾، فعبَّر الله ـ ﷻ ـ بـ﴿ٱلْمَشْرِقِ﴾ و ﴿وَٱلْمَغْرِبِ﴾ في الآية السَّابقة، وهي من الجهات المعروفة؛ دون سواها، وذلك مناسبة لما جاء قبلها من الآيتين: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾﴿المزمل: ٦ـ٧﴾، ففي قوله ﴿ٱلَّيْلِ﴾ يكون وقت المغيب، وفي ﴿ٱلنَّهَارِ﴾ يكون وقت الإشرق، فناسب إتيان الآية بـ ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾، بالدَّلالة المكانيَّة، "فلا جرم، كان تخصيص اللَّيل بالذِّكر دالًا علىٰ أنَّ هذا القانت لا يخلو من السُّجود، والقيام آناء النَّهار بدلالة فحوىٰ الخطاب"(١)، وأيضًا لما جاء قبل الآية قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ﴿المزمل: ٨﴾، ففي هذه الآية خاطب الله ـ ﷻ ـ محمدًا ـ ﷺ ـ والمؤمن من بعده؛ بالذِّكر المطلق، والانقطاع إلىٰ عبادته.

قال ابن كثير: "أكثرْ من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنياك"(٢)، إذ الذِّكر من أحبِّ العبادات إلىٰ الله ـ ﷻ ـ وذلك في كلِّ وقت وحين، وفي أيِّ مكان ومقام، فهنا تأتي الملازمة بين الذِّكر، ولفظتي (المشرق) و(المغرب).

(١) التحرير والتنوير: ٢٣/ ٣٤٦

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٢٥٥

ويلحظ في الآية الكريمة التَّضاد[1] بين لفظتي (المشرق والمغرب) إذا علم أنَّ الله ـ ﷻ ـ هو المالك المتصرِّف في ملكه كيف يشاء، وأنَّه هو المستحق بالعبادة وحده، وأنَّه الرَّائي لأفعال البشر والسَّامع لأقوالهم في كلِّ مكان وزمان، فهنا تتجلَّىٰ إحاطة الله ـ ﷻ ـ بالزَّمان والمكان، فجاءت اللَّفظتان ـ المشرق والمغرب ـ "لمناسبة الأمر بذكره في اللَّيل وذكره في النَّهار، وهما وقتا ابتداء غياب الشَّمس وطلوعها، وذلك يشعر بامتداد كلِّ زمان منهما إلىٰ أنْ يأتي ضده، فيصحُّ أنْ يكون المشرق والمغرب جهتي الشُّروق والغروب، فيكون لاستيعاب جهات الأرض، أي: ربُّ جميع العالم"[2].

ويظهر في هذا المحسن البديعي قدرة الله ـ ﷻ ـ تسخير حركة الشَّمس شيئًا فشيئًا من جهة المشرق إلىٰ الجهة المقابلة لها المغرب، لأنَّه القادر والمدبِّر لذلك.

ووردت اللَّفظتان علىٰ وزن (مَفْعِل) دلالة علىٰ اسم المكان ـ مكان طلوع الشَّمس، ومكان غروبها ـ فلم تأتِ بصيغة شرق وغرب في هذه الآية الكريمة، بل جاءت بهذه الصِّيغة للدَّلالة علىٰ مشرق الشَّمس ومغربها، فالله ـ ﷻ ـ ربُّ المشرق والمغرب، وعلىٰ ما في الكون كلِّه، فالمقام كان يقتضي التَّفصيل، والحديث عن سعة ملكه، فلما جاءت الكلمتان علىٰ هذا الوزن، أفادتا الإيجاز والاختصار.

---

(١) التَّضاد: هو الجمع بين المتضادَّين؛ أي: المعنيين المتقابلين في الجملة. (ينظر: مفتاح العلوم: ٤٢٣).

(٢) التَّحرير والتَّنوير: ٢٩/ ٢٦٧

قال ابن يعيش: "الغرض من الإتيان بهذه الأبنية ضربٌ من الإيجاز والاختصار، وذلك أنَّك تفيد منها مكان الفعل وزمانه؛ ولولاها لزمك أنْ تأتي بالفعل ولفظ المكان والزَّمان"(١).

ومن قدرة الله ـ ﷻ ـ وعظمته، جاءت الكلمتان معرَّفتان بـ (أل) وذلك لإحاطته بالكون، وبكلِّ ما فيه، ولاستغراقه لهذا الجهات، ولذلك أطلق المشرقين والمغربين، في شتائها وصيفها، والمقصود في كلِّ مرة تشرق وتغرب بأمره وقدرته هو، وكما جاءت اللَّفظتان مفردتان، وذلك لأنَّ المقام يقتضي ذلك، إذ الحديث عن توحيد الله ـ ﷻ ـ وإفراده بالعبادة، والتَّوكُّل عليه، "فكان في ذكر المشرق والمغرب دلالة وحدانيته، وإظهار قوَّته وسلطانه، والوقوف علىٰ عجائب حكمته، ولطائف تدبيره"(٢).

ومن الشَّواهد القرآنية ـ أيضًا ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ ﴿الزمر: ٦٩﴾ ففي الآية بيان لمشهد من مشاهد يوم القيامة بإضاءة الأرض بنور الله ـ ﷻ ـ، فعبَّر عن الإشراق بلفظ الماضي ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ﴾ المرتبط بالمستقبل؛ دلالة علىٰ تحقق وقوع ذلك اليوم لا محالة، ففي تعبيرها إحاطة الله ـ ﷻ ـ بجميع الجهات الكونية، وإضاءة الأرض من كل الجهات؛ فعبَّر بالإشراق لشدَّة النُّور المحاط في ذلك اليوم.

---

(١) شرح المفصَّل: ٤/ ١٤٤

(٢) تفسير الماتريدي: ١٠/ ٢٧٦

وفي آية أخرىٰ يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ ﴿الكهف: ١٧﴾ عن الفتية الذين آمنوا بربهم وتركوا عبادة ما دون الله، فتميل الشَّمس عن كهفهم إذا طلعت، وتتجاوزهم إذا غربت؛ دلالة علىٰ لطف الله ـ ﷻ ـ بهؤلاء الفتية، فقد جاء التَّعبير بالفعل الماضي ﴿وَإِذَا غَرَبَت﴾ أي: تتركهم ذات شمالهم فلا تصيبهم الشّمس[1]؛ لأنَّ في أشعة الشَّمس في شروقها وغروبها ضرر سيلحق بهم، فصرفت عنهم؛ وهذا من آيات الله ـ ﷻ ـ ورحمته بهم.

ومن خلال تتبُّع آيات (المشرق) و (المغرب) يظهر ورودهما بصيغة الأسماء في ستَّة عشر موضعًا، ولم ترد بصيغة الفعل[2] إلَّا في موضع واحد لكلٍّ منهما، ولعلَّ هذا يرجع إلىٰ مناسبة دلالة الأسماء علىٰ الدَّوام والثُّبوت، فلما كان الأمر يقتضي إثبات ذلك، جاءت بصيغ الأسماء؛ لأنَّه المتصرِّف والمدبِّر لهذ الكون إلىٰ أنْ تقوم السَّاعة.

❁❁❁❁❁

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٦٥٥

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ الزمر: ٦٩، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ الكهف: ١٧

المبحث الثَّاني: اليمين والشِّمال في القرآن الكريم.

تعدُّ كلمة (اليمين) و(الشِّمال) في استعمالها اللُّغوي من الكلمات المليئة بالدَّلالات الواسعة والمتعدِّدة، فاليمين ـ مثلًا ـ هي ما يَمَن الله الإنسان يَيْمُنه يَمنًا ويُمنًا، فهو ميمون، فجعل اسْم اليمين مشتقًا من (اليمن)، وهو خلاف الشَّمال، فاليمين: يمين اليد. ويقال: اليمين: القوَّة. وقال الشَّاعر:

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ[1]

أراد اليد اليمنىٰ. واليمن: البركة، وهو ميمون. واليمين: الحلف، وكل ذلك من اليد اليمنىٰ[2].

وردت لفظة (اليمين) في الذِّكر الحكيم بهذا اللَّفظ في أربعة وثلاثين موضعًا، علىٰ صيغة الإفراد والجمع فحسب، والمراد بها جهة اليمين ضدُّ اليسار[3]، وتركتُ ما جاءت بغير ذلك؛ لأنَّها غير المراد، فجاءت علىٰ معانٍ مختلفة، ودلالات متنوِّعة[4]، وهي: جهة اليمين[5]، والقوَّة[6]، والحلف[7]، واليد اليمنىٰ[8]،

---

(١) ديوان الشَّمَّاخ بن ضرار الذبياني: ٣٣٦

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي: ٢/ ١١٧٢

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ مريم: ٥٢

(٤) ينظر: نزهة الأعين النَّواظر: ٦٤٢

(٥) قال تعالىٰ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ المعارج: ٣٧

(٦) قال تعالىٰ: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ الحاقة: ٤٥

(٧) قال تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٥

(٨) قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الحاقة: ١٩

والدين[١]، والعهد[٢]، والصِّلة[٣].

ومع تنوع هذه المعاني، واختلاف ورودها؛ فقد دلَّت هذه اللَّفظة ـ اليمين ـ علىٰ معانٍ جميلة وسامية؛ ففيها دلالة علىٰ الخير، والسَّعادة، والتَّفاؤل، والفوز بالجنَّة.

أمَّا لفظة (الشِّمال) بكسر الشِّين، فهي تدلُّ علىٰ الجانب الَّذي يخالف اليمين، ومن ذلك: اليد الشِّمال، و(الشِّمال) أيضًا الخُلُق، والجمع أشمل، وشمائل، وشمل[٤].

وردت لفظة (الشَّمال) في الذِّكر الحكيم في عشرة مواضع، بين الجمع والإفراد، والمراد هنا جهة اليسار الَّتي هي نقيض اليمين[٥]، وعلىٰ هذا، فلم تأتِ هذه المفردة في القرآن الكريم إلا بهذا المعنىٰ[٦].

ومن خلال المعاني الَّتي ذُكرت آنفًا، يتبيَّن أنَّ لفظة (الشَّمال) جاءت في مقام الذَّم فحسب، دلالة علىٰ كلِّ ذي شرٍّ، وهلاك، وخسران، وندم علىٰ ما فات.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ الأعراف: ١٧

(٢) قال تعالىٰ: ﴿ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ ﴾ القلم: ٣٩

(٣) قال تعالىٰ: ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ﴾ النساء: ٣

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: مادَّة: شمل.

(٥) قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ ﴾ سبأ: ١٥

(٦) قال تعالىٰ: ﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ ﴾ ق: ١٧

وبعد تتبُّع آيات القرآن الكريم لم يرد ذكر للفظة (الشَّمال) بفتح الشِّين، وهي من الجهات الأصلية المعروفة، إذ ذُكر جهة المشرق والمغرب فحسب، دون ذكر للجنوب أيضًا.

ومن الآيات الَّتي دلَّت علىٰ أنَّ (اليمين) دلالة علىٰ الخيرات والحسنات، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ ﴿الواقعة: ٢٧﴾، ودلالة (الشِّمال) علىٰ الشَّر والسَّيئات، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ ﴿الواقعة: ٤١﴾، ففي الآية الأولىٰ حديث عن أهل السَّعادة والكرامة، وفي الآية الثَّانية عن أهل التَّعاسة والنَّدامة.

فالفئة الأولىٰ كنَّىٰ بأنَّهم أهل اليمين، أهل النَّعيم الدَّائم، الَّذين أطاعوا الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ بما عملوه في حياتهم الدُّنيا، فذكرهم بصفات عدَّة عن طريق "عود إلىٰ نشر ما وقع لفه"[1] في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ ﴿الواقعة: ٧﴾، ففصَّل أحوال أصحاب اليمين بقوله تعالىٰ: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ﴿الواقعة: ٢٨ – ٣٧﴾، وهذا بيان للنَّعيم المطلق الَّذي سيتمتع به المؤمنون في الجنَّة.

وكنَّىٰ بالفئة الأخرىٰ بـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ معبرًا بـ (الشِّمال) دلالة علىٰ أهل الشَّقاء الأبدي، والسَّآمة الدَّائمة، وهم الَّذين عصوا

(١) التحرير والتَّنوير: ٢٧/ ٢٩٨

الله ورسوله ما أمرهم، وهذا دليل علىٰ ما اقترفته أيديهم، فوصف الله ـ ﷻ ـ أحوالهم عن طريق نشر حالهم بعد أنْ وقع لفه في الآية السَّابقة بقوله تعالىٰ: ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ ﴿الواقعة: ٤١ – ٤٤﴾ نتيجة أعمالهم السَّيِّئة في الحياة الدُّنيا، فقدَّم الله أصحاب اليمين علىٰ أصحاب الشِّمال؛ لحسن حالهم ومآلهم يوم القيامة.

ويلحظ اقتران أصحاب اليمين بالاستفهام، بقوله: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ وتعني "ما لأصحاب اليمين من الخير، والكرامة، علىٰ وجه التَّعجب"[1]، ولسائل أنْ يسأل: ما شأن أصحاب اليمين؟ وما حالهم؟ وما مصيرهم؟ فجاءت الآيات بعد ذلك بيانًا وإكرامًا لهم؛ لتعظيم أمرهم، وعلو منزلتهم.

واقتران أصحاب الشَّمال بالاستفهام ـ أيضًا ـ بقوله: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾؛ لتفيد التَّهويل والتَّعظيم، وذلك لما فيها من التَّخويف من مآل هؤلاء يوم القيامة، والتَّعجب لما وصل حالهم إلىٰ هذا السُّوء، فأكَّد الله ـ ﷻ ـ أصحاب الشِّمال بتلك الصِّيغة لدنوِّ مكانتهم، وضعة منزلتهم.

وجاءت الجملة مكرَّرة لأهل اليمين بقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ للتَّأكيد علىٰ شرف منزلتهم، وعظيم شأنهم، وبيان السَّعادة الَّذي هم فيه، فلا غرو في ذلك! فهم أهل المنزلة الرَّفيعة[2].

وكذلك جاءت الجملة مكرَّرة لأهل الشَّمال بقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ لبيان وضاعة قدرهم، وسوء حالهم.

---

(١) تفسير السمرقندي: ٣/ ٣١٥

(٢)ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٢٠٧

ويظهر ذلك من خلال ذكر أحوال الفريقين يوم القيامة بالتَّقابل المعنوي بين نعيم وشقاء، وسعادة وكآبة؛ دلالة علىٰ مقرٍّ ومآل كلِّ فئة، فرمز لأصحاب اليمين (باليمين) الدَّالة علىٰ الخير والبركة، بأنَّهم الفئة الفائزة برضوان الله ـ ﷻ ـ فاستحقوا علىٰ إثره هذا النَّعيم، فجاءت الآيات بيانًا علىٰ الخير، وحسن المآل، وأصحاب الشِّمال رمز لهم (بالشِّمال) دلالة علىٰ الشَّر والبؤس، فهم الفئة الَّذين لم يعملوا بما أمر الله ـ ﷻ ـ فكان لهم العذاب، وسوء الدَّار، فجات الآيات المنوطة بهم؛ بيانًا علىٰ الشَّرِّ، وسوء الخاتمة.

ومن اللَّافت ـ أيضًا ـ اقتران اليمين والشِّمال بلفظة (أصحاب)، ويتَّضح من ذلك العلاقة المستمرة والدَّائمة لكلِّ من الفريقين يوم القيامة، وشدَّة الالتصاق كل بصاحبه، وملازمة كلٌّ منهما علىٰ حده، نتيجة ما جنوه من أعمال في الحياة الدُّنيا. والله أعلم.

ومن الشَّواهد علىٰ ذلك ـ أيضًا ـ قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ ﴿الأعراف: ١٧﴾ وذلك ما حكىٰ الله ـ ﷻ ـ في إغواء إبليس ووسوسته للعبد المؤمن بإتيانه من الجهات الأربع ـ الأمام والخلف واليمين والشَّمال ـ من الكيد والضَّلال، فكنَّىٰ عن الحسنات بقوله: ﴿ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ ترغيبًا في ترك المأمورات، وعن السَّيئات بقوله: ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ ترغيبًا في فعل المنهيَّات؛ لأن الجهة اليمين تدلُّ علىٰ فعل الخير، والشِّمال تدلُّ علىٰ فعل الشَّر[1]، وجاءت اللَّفظتان متعدية بحرف الجر (عن) الدَّالة علىٰ المجاوزة؛ "لأنَّهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدو، وإنَّما يتجاوز إتيانه إلىٰ الجهة الَّتي هي أغلب في ذلك،

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤/ ٢١٤

وقدِّمت الأيمان علىٰ الشَّمائل؛ لأنَّها الجهة الَّتي هي القويَّة في ملاقاة العدو، وبالأيمان البطش والدفع، فالقِرْن الَّذي يأتي من جهتها أبسل وأشجع إذ جاء من الجهة الَّتي هي أقوىٰ في الدفع، والشَّمائل جهة ليست في القوَّة، والدفع كالأيمان"[1].

وممّا يلحظ ـ أيضًا ـ في هاتين المادتين، أنَّهما جاءتا علىٰ صيغة الجمع ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾؛ دلالة علىٰ كثرة من يريد إغوائهم إبليس من جميع الجهات، ومن ضمنها اليمين والشَّمال؛ لأنَّ اليمين مرتبطة بالحسنات فينهاهم عن ذلك، والشِّمال مرتبطة بالسَّيئات فيأمرهم بذلك، فجاءت الجهتان معرَّفة بالضَّمير تأكيدًا علىٰ شدَّة إغوائه، ورغبته الشَّديدة والملحة في محاولته لإضلال العبد المؤمن.

كما يُلحظ أنَّ ألفاظ (اليمين) أكثر ورودًا من (الشِّمال) في القرآن الكريم، وذلك ممَّا يجلي التَّفاوت بين الدَّلالتين؛ وذلك لارتباط اليمين بالفوز بالجنَّة، والأعمال الصَّالحة، والخير، والبركة. والشِّمال بالخسران، والأعمال السَّيئة، والنَّدامة، والهلاك.

ولعلَّ السِّر في ذلك أنَّ المنهج القرآني يدعو إلىٰ الخير، والفلاح، والصَّلاح، لا إلىٰ الشَّر ونحوه.

❁❁❁❁❁

(١) البحر المحيط: ٥/ ٢٣

المبحث الثَّالث: العلوُّ والدُّنو في القرآن الكريم.

يتناول هذا المبحث ألفاظ العلو والدُّنو بصيغها المبثوثة في القرآن الكريم، إذ سأعرِّج علىٰ تعريف العلوِّ أولًا، ومعرِّجًا علىٰ الجهات المختصَّة بها ثانيًا، مبينًا معانيها الَّتي ذُكرت في الآي الحكيم، والانتقال بعد ذلك إلىٰ الحديث عن ألفاظ الدُّنو في القرآن الكريم.

أولًا: العلو: ضد السُّفْل، والعلو: مصدر علا يعلو علوًّا، وتسمِّي العرب العالية علوًّا، فيقولون: جاء من علو يا هذا، ومن علوي. ويقال: فلان تعلو عنه العين بمعنىٰ تنبو عنه، وإذا نبا الشَّيء عن الشَّيء ولم يلصق به فقد علا عنه(١). قال الشَّاعر أعشىٰ باهلة:

إِنِّي أَتتْنِي لِســـانٌ لَا أُسَــرُّ بهَـا ... مِنْ عَلْوَ لَا كَذِبٌ مِنْهَا وَلا سَــخرُ(٢)

ومن الألفاظ الدَّالة علىٰ العلوِّ في الذِّكر الحكيم لفظة، (أعلىٰ)، إذ وردت في أربعة وستين شاهدًا، فجاءت الصِّيغة علىٰ معانٍ عدَّة، وبسياقات مختلفة(٣)، منها: علوُّ الذَّات الإلهيَّة(٤)، والطُّغيان في الأرض(٥)،

---

(١) ينظر: تهذيب اللُّغة: مادَّة: علا.

(٢) ينظر: فحولة الشُّعراء: ١٥

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٥٨٢

(٤)قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ النساء:٣٤

(٥)قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ القصص:٤

والارتفاع(١)، والاستعلاء(٢)، ورفيع الدَّرجات(٣)، والأشرف والأفضل(٤)، والرِّفعة العالية(٥).

ومن خلال المعاني السَّابقة للفظة (العلو) في القرآن الكريم، يتبيَّن أنَّها استخدمت غالبًا في مقام العلوِّ، والسُّموِّ، والرِّفعة، والارتفاع.

ومن الآيات الَّتي تدلُّ علىٰ علوِّ الله ـ ﷻ ـ قوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ﴿النَّحل: ١ـ٣﴾.

يخبر الله ـ ﷻ ـ في هذه الآيات الكريمة عن قرب وقوع العذاب علىٰ الكفار يوم القيامة، فلا تستعجلوا هذا الخطب الَّذي هو واقع لا محالة، فأتىٰ الوعيد من ربِّ العباد للَّذين أشركوا مع الله ـ ﷻ ـ وأنَّه منزَّه عمَّا عبدوا من دونه من أصنام وأوثان جعلوها شركاء لله، فأنزل الله ـ ﷻ ـ بعد ذلك الوحي علىٰ أنبيائه من أمره ممَّا يجب اتِّباعه لما ينسب له، وأنْ لا إله إلَّا هو، إذ لا يستحق العبادة إلَّا هو وحده؛ فهو خالق كلَّ شيء في الأرض والسَّماء.

---

(١)قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطففين:١٨

(٢)قال تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ طه: ٦٤

(٣) قال تعالىٰ: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾ الحاقَّة: ٢٢

(٤)قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ النَّحل: ٦٠

(٥)قال تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ الإسراء: ٤٣

ويلحظ في نظم الآية ما يثبت علوَّ الله سبحانه ـ ﷻ ـ علىٰ جميع خلقه، ويتجلَّىٰ ذلك من خلال وصف الله نفسه ـ ﷻ ـ بالعلوِّ المطلق في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ و﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بالتَّعبير بصيغة الفعل الماضي الدَّال علىٰ المضي، المتضمِّنة ـ أيضًا ـ معنىٰ الحال والمستقبل؛ فهو عالٍ في كلِّ وقت وحين ـ ﷻ ـ فجاءتا بهذه الصِّيغة؛ لإثبات صفة العلوِّ الَّتي وصفها به نفسه علىٰ جميع مخلوقاته، فتنزَّه الله ـ ﷻ ـ عن شرك المشركين، وعن ما يعبدون من دونه، فهو الواحد الصَّمد في أسمائه، وصفاته، وأفعاله.

ويتبيَّن أسلوب التَّتميم[1] في إثبات علوِّه ـ ﷻ ـ بقوله تعالىٰ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ والمتأمِّل في هذا النَّص القرآني يلحظ أنَّها جاءت متمِّمة لقوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ علىٰ سبيل المبالغة في الوصف، إذ أنَّه منزَّه لمن يتَّخذ معه ندًّا أو شريكًا معه، فقد خاطب الله ـ ﷻ ـ كفار المشركين بأنَّهم استحقوا العذاب يوم القيامة، وأنَّه واقع عليهم لا محالة، وذلك نظير اتخاذهم شريكًا ومثلًا معه، فجاء التَّتميم تنزيهًا وتقديسًا عمَّا يعبدون من دون الله[2].

---

(١) التَّتميم: هو أنْ توفي المعنىٰ حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصِّحة؛ ثمَّ لا تغادر معنىٰ يكون فيه تمامه إلَّا تورده، أو لفظًا يكون فيه توكيده إلَّا تذكره. (ينظر: الصِّناعتين:٣٨٩).

(٢) ينظر: روح المعاني: ٧/ ٣٤١

ويتَّضح دلالة الحذف ـ أيضًا ـ في قوله: ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ والتَّقدير: (تعالىٰ الله عمَّا يشركون)، فحذف لفظ الجلالة (الله) تعظيمًا وتنزيهًا أنْ تجعل معه شريكًا في العبوديَّة، فلله ـ ﷻ ـ العلوُّ والرِّفعة، ما يدلُّ علىٰ "تنزيه الله تعالىٰ موجد هذا العالم العلوي والعالم السُّفلي عن أنْ يتخذ معه شريك في العبادة، ولما ذكر ما دلَّ علىٰ وحدانيَّته من خلق العالم العلويِّ والأرض"(١).

وممَّا يلحظ تكرار قوله تعالىٰ: ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ مرَّتين في مطلع السُّورة، ولكلٍّ منها الغرض الَّتي سيقت فيه، ففي الأولىٰ جاءت في خطاب تقريع وتهديد، و"وعيد من الله للمشركين، ابتدأ أوّل الآية بتهديدهم، وختم آخرها بنكير فعلهم، واستعظام كفرهم علىٰ وجه الخطاب لهم"(٢)، فناسب تنزيه الله ـ ﷻ ـ نفسه في بداية السُّورة؛ لشناعة ما فعلوه، وبشاعة ما صنعوه في عبادتهم ما دون الله.

وأمَّا الآية الأخرىٰ، فقد جاءت بعد أنْ بيَّن الله ـ ﷻ ـ إرساله الوحي لرسله، بأنْ يعبدوا الله وحده، وأنَّه خالق السَّماوات والأرض، وهذا ما يتحقَّق فيه توحيد الألوهيَّة والرُّبوبيَّة لله ـ ﷻ ـ فكيف بعد هذا أنْ يعبدوا الأصنام والأوثان من دون الله، فجاء الخطاب للتَّعجُّب بأنْ يتفكَّروا، ويتدبَّروا، ويتأمَّلوا باستحقاق العبادة.

---

(١) البحر المحيط: ٦/ ٥٠٥

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن:١٧/ ١٦٤

ومن الشَّواهد ـ أيضًا ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿آل عمران: ١٣٩﴾فالخطاب موجه في هذه الآية للمؤمنين في محاربة المشركين، وما أصابهم من الجرح والقتل في أُحد، فوصفهم بجهة العلوِّ ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ معرَّفة بـ (أل) الَّتي للعهد بأنَّهم الغالبون، تعظيمًا لشأنهم، وبيانًا لمكانتهم ومنزلتهم الرَّفيعة، وجاءت ـ أيضًا ـ علىٰ صيغة جمع المذكر السَّالم ﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ دلالة علىٰ كثرة المؤمنين في محاربة المشركين؛ فهم الأكثر قهرًا، وغلبة للعدو، فوصفهم الله بالعلو؛ لأنَّ لهم العلو والرِّفعة، وبشارة من الله ـ ﷻ ـ بأنَّ النَّصر والعاقبة للمتَّقين[1].

ويتَّضح ممَّا سبق من التعبير بمادَّة (العلو) قد جاء بدلالات دقيقة جدًّا، ومتآزرة مع نظم الآية؛ للدَّلالة علىٰ شدَّة عداوتهم للمؤمنين، وقوَّة كيدهم؛ وهذا يؤكِّد مناسبة المادة لمقام الآية الكريمة.

ومن الألفاظ ــ أيضًا ـ الدَّالة علىٰ العلوِّ الَّتي ذُكرت في القرآن الكريم لفظة، (فوق)، والفرق بين الأعلىٰ وفوق هو" أنَّ أعلىٰ الشَّيء منه، يقال: هو أعلىٰ النَّخلة، يراد أنَّه في نهاية قامتها، وتقول: السَّماء فوق الأرض، فلا يقتضي ذلك أنْ تكون السَّماء من الأرض، وأعلىٰ يقتضي أسفل، وفوق يقتضي تحت، أسفل الشَّيء منه، وتحته ليس منه، ألا ترىٰ أنَّه يقال: وضعته تحت الكوز، ولا يقال: وضعته أسفل الكوز بهذا المعنىٰ، ويقال: أسفل البئر، ولا يقال: تحت البئر"[2].

(١) ينظر: معالم التنزيل: ١/ ٥١٣

(٢) الفروق اللُّغويَّة: ١٨٥

وردت كلمة (فوق) في اثنين وأربعين موضعًا، متعدِّدة المعاني، مختلفة السِّياقات، ذكرها أهل العلم والتَّفسير(١)، وهي: الأكبر(٢)، والأفضل(٣)، والأكثر(٤)، والأرفع منزلة(٥)، بمعنىٰ (علىٰ)(٦)، وكذلك جاءت بمعنىٰ علو الوادي(٧)، والظفر(٨)، والصِّلة(٩).

ومن خلال المعاني الَّتي ذُكرت آنفًا، يتبيَّن أنَّها جاءت للعلوِّ فحسب، من العظمة، والعلياء، والعزَّة.

ومن الشَّواهد الَّتي ذُكرت فيها لفظة (فوق) في القرآن الكريم، قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ﴿أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾ ﴿البقرة: ٢٦﴾.

تتجلَّىٰ عظمة الله ـ ﷻ ـ في هذه الآية الكريمة وقدرته، بأنْ يضرب المثل في بعوضة أو أكبر منها، فردَّ الله ـ ﷻ ـ علىٰ ما ذكره أهل الكفر والنِّفاق حينما

---

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر: ٤٧٣

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ البقرة: ٢٦

(٣) قال تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ الفتح: ١٠

(٤) قال تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ النِّساء: ١١

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ البقرة: ٢١٢

(٦) قال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ الأنعام: ١٦٥

(٧) قال تعالىٰ: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ الأحزاب: ١٠

(٨) قال تعالىٰ: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ آل عمران: ٥٥

(٩) قال تعالىٰ: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ الأنفال: ١٢

ادَّعوا بأنْه قد ضرب الأمثال السَّخيفة ـ علىٰ حدِّ زعمهم ـ في القرآن، مثلما ذُكر في آيات أخر من العنكبوت والذُّبابة وغيرها، دلالة بأنَّ القرآن ليس من عند الله؛ لأنَّه أعظم من أنْ يذكر فيه مثل هذه الأمثال الحقيرة، فجاءت هذه الآية ردًّا عليهم.

وعلىٰ هذا، تتبيَّن دلالات عدَّة في بلاغة الفوقيَّة المتمثلة في نظم هذه الآية، ومن ذلك: صُوِّر الطِّباق في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ بين البعوضة الصَّغيرة، والأكبر منها، علىٰ سبيل الطِّباق الخفي[1]،فهما يدلَّان علىٰ الحقير، والكبير[2]، والمتأمِّل في صورة الطِّباق المعنوي يلحظ أنَّها جاءت ملائمة للسِّياق؛ لأنَّ المشركين لما قالوا إنَّ الله ـ ﷻ ـ أعظم من أنْ يذكر الذُّبابة والعنكبوت، جاء عليهم الردُّ بأنَّ الله ـ ﷻ ـ لا يستحيي أنْ يضرب هذه البعوضة الصغيرة وما أكبر منها، فهنا تتجلَّىٰ قدرة الله ـ ﷻ ـ وعظمته، وبيان لصغر حجم المنافقين مع صغر هذه البعوضة الصَّغيرة.

كما يلحظ عطف ﴿بَعُوضَةً﴾ علىٰ ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ بحرف العطف الفاء، الَّتي تدلُّ في الأصل علىٰ التَّرتيب والتعقيب، وفي هذه الآية غير مراد، وإنَّما

(١) الطِّباق المعنوي: ويسمَّىٰ الطِّباق الخفي، ومعظم البلاغيين جعلوه ملحقًا بالطِّباق نظرًا لخفاء التَّضاد فيه، وقد عرفوه بأنَّه "الجمع بين أمر، وما يتعلق بمقابله". (ينظر: علم البديع:١٤٤).

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٠٨

المراد التَّدرج في الرُّتب؛ لبيان المثل بأنَّه البعوضة، وما يتدرَّج في مراتب القوَّة زائدًا عليها درجة تلي درجة(١).

وإنَّ هذا النَّظم الفريد، والتَّدرُّج البديع، جاء بهذه الحلَّة والبيان؛ ليتبيَّن للمنافقين وغيرهم عظمة الله ـ ﷻ ـ وقدرته بضرب الأمثال بأيِّ شيء من خلقه؛ ليهدي به المؤمنين، ويضلُّ به الكافرين.

ويلاحظ إضافة الضَّمير إلىٰ كلمة (فوق) في قوله تعالىٰ: ﴿فَوْقَهَا﴾ إشارة إلىٰ الاستحقار والصَّغار لهؤلاء المنافقين الَّذين أسرفوا علىٰ أنفسهم بأكاذيبهم الباطلة، والتَّشكيك في صدق الوحي بهذا القرآن العظيم، وينبلج بعد ذلك لهم عظمة الخالق ـ ﷻ ـ الَّذي بيده ملكوت كلِّ شيء.

ولعلَّ السِّرَّ في قول الله ـ ﷻ ـ: ﴿فَوْقَهَا﴾، ولم يقل ـ مثلًا ـ (أكبر منها) عائد إلىٰ أنَّ كلمة (فوق) تدلُّ علىٰ الزِّيادة، والمبالغة، كما يقال: فلان كذوب، فيقال: فوق ذلك، أي: اكذب. فهنا (فوق) تدلُّ علىٰ الزِّيادة، والمبالغة في الكذب(٢).

فلفظة ﴿فَوْقَهَا﴾ في الآية الكريمة زيادة ومبالغة في دونيَّتهم، وصغارتهم، ومهانتهم؛ ولأنَّ المثل الَّذي ضُرب لهم مناسبًا وملائمًا لحجم هؤلاء المنافقين. والله أعلم.

---

(١) ينظر: التَّحرير والتَّنوير: ١/ ٣٦٢

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٣٦٢

ومن الشَّواهد علىٰ لفظة (فوق) في القرآن الكريم قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿العنكبوت: ٥٥﴾ هذه الآية تصوِّر حالة الكفَّار يوم القيامة بالعذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، فهنا طباق بين ﴿فَوْقِهِمْ ﴾ و﴿ تَحْتِ ﴾ ، لبيان شدَّة العذاب وفظاعته، فجاءت للترهيب من ذلك اليوم العصيب، والنَّار محاطة بهم من كلِّ الجهات، ولم يذكر جهة اليمين والشَّمال؛ لأنَّ الغرض حصل بذكر الجهتين في الآية، والمقام في هذه الآية مقام إيجاز؛ فهو مقام تهديد ووعيد للكفَّار[1]، ويمكن القول أنَّ نار الدُّنيا تأتيك من الجانب الأيمن أو الأيسر فيمكنك الهروب منها، أمَّا نار جهنَّم فهي من الأعلىٰ ومن الأسفل، فلا يمكنك الفرار حينئذٍ. والله أعلم.

ويتَّضح بلاغة إيجاز الحذف في هذه المفردة في قوله ـ ﷻ ـ ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ والتَّقدير (من فوق رؤوسهم)؛ لأنَّ " نزول النَّار من فوق سواء كان من سمت الرؤوس وسواء كان من موضع آخر عجيب، فلهذا لم يخصه بالرأس، وأمَّا بقاء النَّار تحت القدم فحسب عجيب، وإلَّا فمن جوانب القدم في الدُّنيا يكون شعل، وهي تحت فذكر العجيب، وهو ما تحت الأرجل، حيث لم ينطق بالدوس وما فوق علىٰ الإطلاق"[2].

(١) ينظر: المصدر السابق: ٢١/ ٢٠

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٦٨

ثانيا: (الدُّنو)، فهي نقيض العلو، ومنه القرب، وسمِّيت الدُّنيا لدنوِّها، والدُّون: الأصغر(١).

وألفاظ الدُّنو في القرآن الكريم عديدة، وهي: أسفل، وتحت، وأدنىٰ، ودون.

❁❁❁❁❁

أولًا: أسفل.

أصل كلمة (أسفل) في اللُّغة: من سفل يسفل: إذا سقط: نقيض العلو، والسَّافلة: نقيض العالية في الرمح والنَّهر وغيره، والسَّافل: نقيض العالي، والسفلة: نقيض العلية. والسفال: نقيض العلاء(٢).

وردت كلمة (أسفل) في القرآن الكريم في عشرة مواضع، متعدَّدة المعاني، مختلفة الدَّلالات، ذكرها أهل التَّفسير علىٰ ثلاثة أوجه(٣)، وهي: الخسران(٤)، والانحطاط(٥)، وبلوغ أرذل العمر(٦).

---

(١) ينظر: لسان العرب: مادَّة: دنا.

(٢) ينظر: المصدر السَّابق: مادّة: سفل.

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر: ١٠٠

(٤) قال تعالىٰ: ﴿ فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ الصَّافات: ٩٨

(٥) قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ النِّساء: ١٤٥

(٦) قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ التِّين: ٥

ومن خلال التَّأمُّل في المعاني السَّابقة، ودقَّة ألفاظها وتراكيبها، يتَّجه مدلول كلمة (أسفل) في خطاب المنافقين والمشركين إلىٰ صفة الذَّم، فتدلُّ علىٰ الوضاعة، والدُّونيَّة، والانحطاط.

ومن شواهد لفظة (أسفل) في القرآن الحكيم، قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿النِّساء: ١٤٥﴾ فهذه الآية الكريمة تتحدَّث عن سوء حال المنافقين، ومصيرهم ومآلهم يوم القيامة بأنَّهم في الدَّرك الأسفل من النَّار، بعد أنْ بيَّن صفاتهم وأحوالهم قبل هذه الآية.

فأتت مظاهر عدَّة تتجلَّىٰ فيها بلاغة في المادَّة المذكورة آنفًا، ومن ذلك: التَّأكيد بـ (إنَّ) في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ وإظهار اسم المنافقين دون الإضمار؛ ليتحقَّق الوعيد الَّذي توعدهم إياهم؛ بأنَّهم في الدَّرك الأسفل من جهنَّم، فهم "في أذلِّ منازل العذاب؛ لأنَّ كفرهم أسوأ الكفر لما حف به من الرَّذائل"[1].

وتظهر دلالة اسم التَّفضيل المحلَّىٰ بـ (أل) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْأَسْفَلِ﴾ والمقصود في ذلك الأشخاص المتَّصفون بهذه الصِّفة القبيحة ـ النِّفاق ـ إذ أنَّهم في الدَّرك الأسفل من النَّار، فالوصف هنا جاء بهذه الصِّيغة لشدَّه العذاب والتَّنكيل، وما فيها من أهوال وألوان العذاب، فجاء التَّعبير بذلك؛ لأنَّ " التَّفضيل بـ)أل(هو أعلىٰ وأعم درجات المفاضلة"[2] .

(١) التحرير والتنوير: ٥/ ٢٤٤

(٢) معاني النحو: ٤/ ٣٢٠

وتتَّضح دلالة التَّذييل[1] في هذا الموضع بعد أنْ وصف الله ـ ﷻ ـ صفات المنافقين قبل هذه الآية[2] بأنَّهم يخادعون الله وهو خادعهم، وبلا أدنىٰ شكٍّ أنَّ الله ـ ﷻ ـ لا يخادع، فهو يعلم بالسَّرائر وما تخفي النُّفوس، وأنَّهم إذا قاموا إلىٰ الصَّلاة قاموا كسالىٰ متثاقلين متكاسلين متعاجزين القيام إليها، وأنَّهم لا يذكرون الله إلَّا قليلًا؛ لامتلاء صدورهم بالنِّفاق والرِّياء، مترددين بين فريقين فريق المؤمنين وفريق الكافرين.

فبعد أنْ بيَّن الله ـ ﷻ ـ صفاتهم، ووضَّح حالهم، وأتمَّ الحديث عنهم في الآيات الَّتي قبل الشَّاهد، جاء بيان مآلهم ومستقرَّهم بالتَّذييل علىٰ ما صنعوه، وعاقبتهم الَّتي يستحقونها بأنَّ ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ للتَّأكيد والتَّقرير لما سبق وبالتَّحقيق لها.

ولعلَّ السرَّ في قول الله ـ ﷻ ـ بـ ﴿ٱلْأَسْفَلِ﴾ في الآية الكريمة، دون غيرها من ألفاظ الدُّنو في القرآن الكريم؛ لأنَّ كلمة (الأسفل) فيها دلالة علىٰ أنَّ المنافقين في آخر مكان في نار جهنَّم، فهم في قعرها وأسفل قاعها، وذلك من

---

(١) التذييل: هو عبارة عن الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام؛ لإفادة التوَّكيد، وتقرير لحقيقة الكلام. (ينظر: الطراز:٣/ ٦١).

(٢) وهي: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ النساء: ١٤٢-١٤٤

"باب التَّشديد، والتَّهديد، والتَّغليظ مبالغة في الزَّجر"[1]، وعذابهم يكون فيها فيها أشد.

ومن الشَّواهد ـ أيضًا ـ علىٰ هذه المفردة قول الله ـ ﷻ ـ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ ﴿التين: ٤ـ٥﴾ خلق الله سبحانه وتعالىٰ الإنسان في أفضل صورة وأقوم شكل، فلمَّا عصىٰ ربَّه أنزله أسفل سافلين، فتظهر بلاغة الطباق الخفي بين ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ و﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ فالآية الأولىٰ تدلُّ علىٰ الجمال والحسن، والآية إلىٰ الأخرىٰ تدلُّ علىٰ سوء الخاتمة والمآل، وبشاعة صورهم، وهم في أسفل سافلين من نار جهنم متقوقعين فيها، فالأسفل في هذه الآية جاءت مكرَّرة ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ للتَّأكيد علىٰ سوء العاقبة، وجاءت ـ أيضًا ـ ﴿أَسْفَلَ﴾ علىٰ صيغة اسم التفضيل؛ دلالة علىٰ شدة عصيانهم، وشناعة فعلتهم بمخالفتهم أوامر الله سبحانه وتعالىٰ.

❁❁❁❁❁

ثانيًا: تحت.

تعدُّ كلمة (تحت) من إحدىٰ الجهات المعروفة، فيقال: من تحت. وتحت: نقيض فوق. وقوم تحوت: أرذال سفلة، وهي مقابل فوق[2].

وردت اللَّفظة في الآي الحكيم في خمسين موضعًا، مختلفة المعاني، متنوعة الدَّلالات[3]، ومن ذلك: النَّعيم[4]،

---

(١) تفسير أبي السعود: ٢/ ٢٤٧.

(٢) ينظر: لسان العرب: مادَّة: تحت.

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي: ١/ ٢٠٠

(٤) قال تعالىٰ: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ البينة: ٨

والعذاب[1]، والاستحقار والانحطاط[2] والاقتداء[3].

ومن الآيات الَّتي تناولت كلمة (تحت) في الذِّكر الحكيم قول الله ـ ﷻ ـ: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ﴿التوبة: ٨٩﴾.

تتحدَّث الآية عمَّا أعده الله ـ ﷻ ـ للمؤمنين من النَّعيم في الآخرة، بأنَّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار، والوعد بالخلود في هذا النَّعيم، وأنَّ هذا لهو الفوز العظيم، والحظُّ الجزيل.

فجاءت عدَّة نكت بلاغيَّة في كلمة (تحت) في هذه الآية الكريمة، وهي: بلاغة التَّعريف بإضافة الضَّمير المتَّصل إليها في قوله: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ عائدة إلىٰ ﴿جَنَّٰتٍ﴾ دلالة علىٰ النَّعيم الَّذي ينعم به أهل الجنَّة في الدَّار الآخرة، فوصفهم الله ـ ﷻ ـ بهذه الصُّورة الجماليَّة الدَّقيقة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾، نظير ما عملوه في رضا وطاعة الربِّ في الحياة الدُّنيا،

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ الأنعام: ٦٥

(٢) قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ فصلت: ٢٩

(٣) قال تعالىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ التَّحريم: ١٠

فالنَّفس البشريَّة طبيعتها تتوق وتسعد بهذا المنظر الخلَّاب، إذ تجد راحتها وأنسها برؤيتها؛ و"لأنَّها أهم ما في الجنَّات، وهذا القيد لمجرد الكشف، فإنَّ الأنهار لا تكون إلَّا كذلك، ويفيد هذا القيد تصوير حال الأنهار؛ لزيادة تحسين وصف الجنَّات"[1]، فالمقام هنا مقام تشريف وتكريم لأهل الجنَّة.

ويظهر تآزر كلمة (تحت) مع سياق هذه الآية الكريمة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في خطابه الموجه لعباده المؤمنين بدلالات بلاغيَّة بيانيَّة مختلفة، تارة عن طريق المجاز العقلي بإسناد الجريان إلىٰ الأنهار، وفي الحقيقة أنَّها لا تجري بل الجاري ماؤها، وهي في الأصل مكان لها، دلالة علىٰ السُّرعة الشَّديدة لجريان الماء، وبها منظر بديعي جميل لعباده برؤية المياه وهي تجري، فالأنفس تسرُّها وتسعدها هذا المنظر الخلَّاب، ولذلك لم يقل الله ـ ﷻ ـ في هذه الآية لفظة (تمشي) أو ما شابه ذلك؛ لأنَّ في ذلك كرامة من الله ـ ﷻ ـ لعباده المؤمنين.

وتارة عن طريق الاستعارة كذلك، إذ شبَّة جريان الأنهار بالإنسان، وأتىٰ بشيء من لوازمه وهي الجري، فجريان الماء وسيْلِهِ يأتي متعاقبًا متكررًا غير قار في مكان واحد، فبذلك يكون جديدًا متجدِّدًا كلَّما شرب منه شارب، أو اغتسل منه مغتسل[2].

ولعلَّ السِّرَّ في إيثار هذه اللفظة ﴿تَحۡتِهَا﴾ دون ألفاظ الدُّنو الأخرىٰ؛ دلالتها علىٰ المكان المنخفض المقابل للعلوِّ، وفيها زيادة استحضار حالة جريان

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٣٥٠

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٣٥٤

الأنهار في الآخرة، وذلك ترغيبًا للمؤمنين وتنشيطًا لطاعته وعبادته. والله أعلم.

وجاءت هذه الآية مقرونة بحرف الجرِّ ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وهناك آية مشابهة لها جاءت دون حرف الجرِّ، وهي قول الله ـ ﷻ ـ:﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ﴿التوبة: ١٠٠﴾، فما النُّكتة في ذلك؟

لعلَّ السِّرَّ أنَّ الآية الأولىٰ جاءت لفظة (تحت) مقرونة بحرف الجرِّ ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ تأكيدًا علىٰ نعيم أهل الجنَّة بأنَّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار، فيشمل ذلك جميع الموعودين بالجنَّة من المؤمنين نظير ما قدموه في حياتهم الدُّنيويَّة.

أمَّا الآية الثَّانية جاءت دون حرف الجر ﴿تَحْتَهَا﴾ للاختصاص، فهي مختصَّة بمزيد فضل واهتمام لفئة معينة، وهم المذكورون قبل الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ ﴿التوبة: ١٠٠﴾ مع جميع الموعدين بها من المؤمنين. والله أعلم.

❁❁❁❁❁

ثالثًا: دنا.

دنا الشَّيء من الشَّيء دنوًا، ودناوة بمعنىٰ قرب، وسمِّيت (الدُّنيا) لدنوِّها، والجمع (الدُّنا)، مثل: الكبرىٰ والكبر، وأصله دنو، ودانىٰ بين الأمرين قارب، وبينهما (دناوة)، أي: قرابة، أو قرب[1].

وردت هذه الكلمة بصيغها المختلفة (أدنىٰ، ودانية، ودان، ودنيا) في مئة وخمسة وسبعين موضعًا، وقد ذكر أهل التفسير معاني مادة (أدنىٰ) في القرآن الكريم علىٰ أربعة أوجه[2]، وهي: أجدر[3]، وبمعنىٰ أقرب[4]، وبمعنىٰ أقل[5]، وبمعنىٰ أدون[6].

وبعد التأمُّل والنَّظر في معاني هذه المفردة في القرآن الكريم، جاءت من معانيها في الغالب علىٰ الاستحقار، والدُّونيَّة، والنَّعيم، والحياة الحاضرة، والانخفاض والنُّزول، والقلَّة كمًّا وكيفًا، والقرب.

ومن الشَّواهد علىٰ هذه المادَّة قول الله ـ ﷻ ـ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ ﴿الإنسان: ١٤﴾.

---

(١) ينظر: مختار الصحاح: مادَّة: دنا.

(٢) ينظر: نزهة الأعين النواظر: ١١٩

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ البقرة: ٢٨٢

(٤) قال تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ السجدة: ٢١

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ المجادلة: ٧

(٦) قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ البقرة: ٦١

ذكر الله ـ ﷻ ـ في هذه الآية وما قبلها أوصاف أهل الجنَّة بما لهم من الأجر والكرامة في دار المستقرِّ والإقامة، وبما أعطاهم الله وحباهم من الفضل والنَّعيم.

وبعد التَّمعن والاستقراء في اللفظة (دنا) في الآية الكريمة، تبيَّن لي شيء من اللَّطائف البلاغيَّة البديعة، الَّتي أسهمت في تمام معنىٰ الآية وجمالها، ومن ذلك: التَّعبير بالجملة الاسميَّة في قوله: ﴿وَدَانِيَةً﴾ دلالة علىٰ أنَّ ظلال الأشجار دانية عليهم ثابتة مستقرة في الجنَّة، وهذا من لطف الله ـ ﷻ ـ علىٰ عباده المتَّقين، فجاء بالصيغة الاسميَّة للدَّلالة علىٰ دوام الظلال علىٰ أهل الجنَّة، إذ لا شمس فيها ليستظلون من حرِّها، لكنَّها زيادة في إكرامهم ونعيمهم.

وتتبيَّن دلالة الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿وَدَانِيَةً﴾، والتَّقدير: (وجنة دانية) لتصور ذلك النَّعيم الوارف، والمعايشة الوقتيَّة لتخيُّل الخيرات والبركات لما في الدَّار الآخرة، ولتشوق النَّفس لمزيد نعيم لما في الجنَّة من أوصاف سيكرمهم الله بها، وبيان عظم نعيم أهل الجنَّة في دار الخلود[1].

وتظهر بلاغة حرف العطف الواو لمطلق الجمع في قوله: ﴿وَدَانِيَةً﴾، معطوفة علىٰ ما قبلها[2]؛ لأنَّها في موضع الحال من المجزيين، فدخلت الواو

(١) ينظر: روح المعاني: ١٥/ ١٧٥

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ الإنسان: ١٣ ـ ١٤

للدَّلالة علىٰ أنَّ الأمرين مجتمعان لهم، كأنه قيل: وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحرِّ، والقرِّ، ودنوِّ الظلال(١).

ويُلحظ في هذه الآية الكريمة ـ أيضًا ـ عقد مقارنة بين النَّار وما فيها من شدة حرِّها وحدَّة لظاها، وبين الجنَّة وما فيها من ظلٍّ ظليل دائم، وهذا من زيادة التَّنعيم لأهل الجنَّة، فقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: "إنَّ في الجنَّة لشجرة يسير الرَّاكب في ظلها مئة عام لا يقطعها"(٢).

ولعلَّ السرِّ في قول الله ـ ﷻ ـ ﴿وَدَانِيَةً﴾ ولم يقل ـ مثلًا ـ قريبة أو ما شابه ذلك في أنَّ لفظة (دانية) اسم فاعل تدلُّ علىٰ الاستمراريَّة والثَّبات، فظلُّ الأشجار ديمومتها مستمرَّة علىٰ أصحاب الجنَّة، والاستمراريَّة هنا تدلُّ علىٰ المبالغة في دنوِّها، وأنَّها قريبة منهم دون جهد ولا نصب، وهذا يدلُّ علىٰ تمام النَّعيم المطلق في الجنَّة. والله أعلم.

ومن الشَّواهد ـ أيضًا ـ قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿السجدة: ١٩ـ٢١﴾ وعند التَّأمل في نظم الآيات السَّابقة يتبيَّن أنَّ هناك فريقين، الفريق الأول: الذين آمنوا بربِّهم، والفريق الثَّاني: والَّذين فسقوا، وبين مكان كل فريق، ومن خلال هذا يلحظ جزاء الفريق الثَّاني

(١) ينظر: الكشاف: ٤/ ٦٧١

(٢) صحيح البخاري: ٤/ ١١٩

بالعذاب عن طريق الطِّباق بين ﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾ و﴿ٱلْأَكْبَرِ﴾ فالعذاب الأدنىٰ يكون في الدُّنيا فهو عذاب قليل هيِّن بما يقابله في العذاب الأكبر فهو عذاب شديد مهيب، فالعذاب الأدنىٰ في الآية تتحقَّق في أمرين، أولاها: أنَّها قريبة، وثانيها: أنَّها قليلة، رحمة من الله ـ ﷻ ـ لهم بالرجوع إليه، والعذاب الأكبر تتحقَّق في أمرين ـ أيضًا ـ الأول: أنَّه بعيد، والثَّاني: أنَّه: عظيم.

وبناء علىٰ ذلك فإنَّ ورود العذاب الأدنىٰ بما يقابله بالعذاب الأكبر للتَّخويف من عذاب الله ـ ﷻ ـ ورجوعهم إلىٰ الحقِّ والصَّواب[1].

❁❁❁❁❁

رابعًا: دون.

نقيض فوق؛ أي: بمعنىٰ: تحت، وهو تقصير عن الغاية، ويقال للقاصر عن الشَّيء: دون، وهو مقلوب من الدُّنو، والدُّون: الحقير الخسيس[2].

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بصيغها المختلفة في مئة وخمسة وأربعين شاهدًا، بمعانٍ متنوعة[3]، منها: بمعنىٰ وراء[4]، وقبل[5]،

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٥/ ١٤٨

(٢) ينظر: الصحاح: مادَّة: دنا.

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي:٢/ ٦٨٤

(٤) قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الطور: ٤٧

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ السجدة: ٢١

وقرب المسافة[1]، والاختصاص[2]، والغيريَّة[3]، والقلَّة[4].

وبعد النَّظر إلىٰ سياق هذه الكلمة في القرآن الكريم تتَّجه خصوصيَّة المادَّة في الغالب الأعمِّ إلىٰ صفة الذَّم من الخسَّة، والهوان، والاحتقار، والدُّونيَّة.

ومن الشَّواهد القرآنيَّة علىٰ هذه المفردة، قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿البقرة: ٢٣﴾.

والمتأمل في سياق هذه الآية يجد أنَّها تتحدَّث عن شكِّ المشركين علىٰ ما أُنزل علىٰ محمد ـ ﷺ ـ من كلام الله ـ ﷻ ـ فقد تحدَّاهم الله ـ ﷻ ـ بأنْ يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن، وهم أهل البلاغة والفصاحة والبراعة، فعجزوا مع أعوانهم وأنصارهم بالإتيان بمثل ذلك، تعالىٰ الله ـ ﷻ ـ عن مثل هؤلاء.

وتتجلَّىٰ عدَّة مظاهر بلاغيَّة في هذه المفردة، ومن ذلك: دلالة الإضافة في قوله: ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ تأكيد علىٰ ذمِّ المشركين والاستحقار لهم، وإظهار

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ القصص: ٢٣

(٢) قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ البقرة: ٩٤

(٣) قال تعالىٰ: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأحزاب: ٥٠

(٤) قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الجن: ١١

ضعفهم وشأنهم بدعوة أعوانهم ونصرائهم من غير الله ليساعدوهم ويؤازروهم بالإتيان بسورة من مثل هذا القرآن، فمهما كانت قوتهم وعزمهم فلم ولن يستطيعوا ذلك.

وتتبيَّن ــ أيضًا ــ جماليَّة بلاغة الإدماج[1] في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بدمج التَّحدي وعجز المشركين وضعفهم بالإتيان بسورة من مثل القرآن، بتوبيخهم وإذلالهم وإهانتهم لإشراكهم بغير الله معه، إذ دَعوا أعوانهم وحلفائهم علىٰ سبيل الكناية؛ لاستحالة ذلك[2].

ويظهر الانتقال من أسلوب التَّكلم إلىٰ أسلوب الغيبة في قوله: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ علىٰ سبيل الالتفات، حيث كان الظَّاهر أنْ يقول: من دوني، فذكر اسم الله ــ ﷻ ــ تعظيمًا وإجلالًا له، وإقراعًا وتخويفًا لهؤلاء المشركين، بما أنزله علىٰ نبيه محمد ــ ﷺ ــ وإدخال الرُّعب في نفوسهم؛ جرَّاء شناعة تفكيرهم، وبشاعة فعلتهم في معارضة القرآن الكريم[3].

❁❁❁❁❁

(١) الإدماج: وهو أنْ يدمج المتكلم غرضًا له في ضمن معنىٰ قد نحاه من جملة المعاني؛ ليوهم السامع أنَّه لم يقصده، وإنَّما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصد إليه. (ينظر: تحرير التحبير: ٤٤٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٣٣٩

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ٦٥

المبحث الرَّابع: الخلف والأمام والجانب في القرآن الكريم.

سأتحدث في هذا المبحث عن مفردات (خلف، وأمام، وجانب) في القرآن الكريم، مبينًا أثر كل منها في بيان الصِّيغ الجماليَّة المتحلِّية بها، وتوضيح معانيها، وسبر أغوارها، وكشف النُّكت البلاغيَّة المرتبطة بها.

أولًا: خلف.

خَلْف ضد قدَّام، وخلفه يخلفه: صار خلفه، واختلفه: أخذه من خلفه، واختلفه وخلفه وأخلفه: جعله خلفه(١).

وردت هذه اللَّفظة الكريمة في القرآن الكريم في اثنين وثلاثين شاهدًا، متنوعة المعاني، مختلفة الدَّلالات(٢)، إذ جاءت بمعنىٰ الوراء(٣)، والتَّأخر(٤)، والتَّتابع(٥)، والنِّيابة(٦).

ومن الشَّواهد القرآنية علىٰ هذه المفردة قول الله تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ ﴿البقرة: ٢٥٥﴾.

---

(١) ينظر: لسان العرب: مادَّة: خلف.

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي: ١/ ٥٩٩

(٣) قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ البقرة: ٢٥٥

(٤) قال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الأعراف: ١٦٨

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ الفرقان: ٦٢

(٦) قال تعالىٰ: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ النور: ٥٥

تتحدَّث الآيات الكريمة عن ملكيَّة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وليس معه شريك ولا ندّ، هو المتصرف وحده بقدرته ورحمته علىٰ ما في السَّماوات والأرض، ولا شفاعة إلَّا بإذنه وأمره وإرادته؛ وأنَّه عالم بالظَّواهر والخفايا، وكل ما هو ماضٍ، وكل ما هو آتٍ.

وتكمن في هذه المفردة من الآية الكريمة لطائف بلاغيَّة عدَّة، ومن ذلك: بلاغة الكناية في قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ لبيان إحاطة الله ـ ﷻ ـ بأمور المخلوقات أجمع[1]، فالأحوال الَّتي بين يديك الحاضرة والمستقبليَّة، والَّتي خلفك من أمور ماضية كلها يعلمها الله، وهذا من شموليَّة علم الله ـ ﷻ ـ فهنا دعوة للتَّأمُّل والتَّفكُّر في عظمة الخالق.

وكنَّىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بهاتين الجهتين عن بقيَّة الجهات من باب إحاطة الشَّيء بذكر الجزء وإرادة الكلِّ، فهو يعلم دقائق الأمور وجلها، ما علمنا منها وما لم نعلم. فالإحاطة بشكلها العام تشمل جميع الجهات.

وتتَّضح بلاغة الضَّمير في قوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عائد إلىٰ سائر المخلوقات في السَّموات والأرض، لإرادة العموم؛ بدلالة ما قبلها قوله تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فعلم الله لما بين أيدي الخلق وخلفهم إثبات لسعة علم الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بكلِّ ما فيه[2].

(١) ينظر: البحر المحيط: ٢/ ٦١١

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٢٢

ولما في هذه الآية وما قبلها دلالة علىٰ لزوم إنفاق المؤمنين ممَّا رزقهم الله ـ ﷻ ـ في أعمال الخير، قبل أنْ يأتي يوم لا يجدوا من يشفع لهم غير الله، وبيَّن قدرته وعظيم ملكوته عن طريق الطِّباق الخفي، لعلمه بكلِّ شيء، متآزرة مع حسن التقسيم[1] في أزمنتها الثَّلاثة المقترنة بالآية الكريمة (الماضي والحاضر والمستقبل) إذ لا تخفىٰ عليه خافية، لا في الأرض ولا في السَّماء، فسائر الخلق مفتقر إليه، فهنا تأكيد علىٰ علمه وعلوِّه، ودعوة إلىٰ التَّقرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بجميع الأعمال الطَّيبة الخيرة الَّتي تنجينا من عذابه قبل فوات الآوان

ومن مرادفات هذه اللَّفظة في القرآن الكريم كلمة (وراء) إذ وردت في أربعة وعشرين شاهدًا بمعانٍ عديدة[2]، وهي: الخلْف[3]، وأمام[4]، والبَعديَّة[5]،وسوىٰ[6]، والدنيا[7].

---

(١) حسن التقسيم: هو أن تذكر شيئًا ذا جزأين أو أكثر، ثم تضيف علىٰ كل واحد من أجزائه ما هو له عندك. (ينظر: مفتاح العلوم:٤٢٥).

(٢) نزهة الأعين النواظر:٦٠٩

(٣) قال تعالىٰ: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٨٧

(٤) قال تعالىٰ: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ إبراهيم: ١٦

(٥) قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى ﴾ مريم: ٥

(٦) قال تعالىٰ: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ النساء: ٢٤

(٧) قال تعالىٰ: ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ الحديد: ١٣

والمراد من كلمة (وراء) تكون بمعنىٰ خلف وقدام، وتصغيرها، عند سيبويه، وريئة، والهمزة عنده أصلية غير منقلبة عن ياء[1]، و"أصل الوراء اسم المكان الَّذي في جهة الظَّهر، ويطلق علىٰ الشَّيء الخارج عن الحد المحدود، تشبيهًا للمتجاوز الشَّيء بشيء موضوع خلف ظهر ذلك الشَّيء؛ لأنَّ ما كان من أعلاق الشَّخص يجعل بين يديه وبمرأىٰ منه، وما كان غير ذلك ينبذ وراء الظَّهر"[2].

ومن الشَّواهد القرآنيَّة علىٰ هذه المفردة، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ ﴿الانشقاق: ١٠﴾.

يبين الله ـ ﷻ ـ مشهدًا من المشاهد المهيبة في بيان حال الأشقياء يوم القيامة، هؤلاء الَّذين عصوا ربَّهم وأشركوا به، فيومئذ سيأخذون كتابهم من وراء ظهورهم بكلِّ خزي ومهانة؛ بسبب ما اقترفت أيديهم من الأعمال السَّيئة.

وتتجلَّىٰ عدَّة مظاهر جليلة في هذه الآية المادَّة مظاهر بلاغية عديدة، منها: دلالة الكناية في قوله: ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ عندما يأخذ الكافر كتابه من وراء ظهره، فتظهر عليه النَّدامة والحسرة علىٰ أعماله الشَّنيعة في حياته الدُّنيويَّة؛ بسبب إعراضه عمَّا أمر الله به، وصدِّه عن كلِّ ما هو خير له، فبين الله ـ ﷻ ـ بعد هذه الآية عاقبته الَّتي سيتلقَّاها في يوم الحشر بقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾

(١) ينظر: لسان العرب: مادَّة: ورىٰ.

(٢) التحرير والتنوير: ١٨/ ١٥

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ ﴿الانشقاق: ١١-١٤﴾ مجازاة له نظير صنعه[1].

والمتأمِّل في سياق هذه الآية يجد معنىٰ إخفاء الكتاب وراء ظهره يوم القيامة؛ دلالة علىٰ خزيِّ فعلته، وبشاعة منظره، وسوء صورته.

وكذلك دلالة المقابلة بين صنفين في يوم القيامة، وهما: المؤمن الَّذي سيأخذ كتابه بيمينه بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ﴾ ﴿بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ ﴿الانشقاق: ٧-٩﴾، والكافر الَّذي سيأخذ كتابه من وراء ظهره بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ ﴿الانشقاق: ١٠-١٤﴾، وبيَّن الله ـ ﷻ ـ صنف كلّ منهما، فالأول هو السَّعيد الَّذي أكرمه الله بأخذ كتابه باليمين الدَّالة علىٰ الخير والسَّعادة، والآخر هو الشَّقي الَّذي أذلَّه الله بأخذ كتابه من وراء ظهره، الَّتي تدلُّ علىٰ التَّعاسة والشَّقاء الأبدي[2].

وفي إضافة: ﴿وَرَآءَ﴾ إلىٰ ﴿ظَهْرِهِۦ﴾ لإظهار الإذلال والاستحقار للكافرين، فأخذ الكافر كتابه المشتملة علىٰ أعماله السَّيِّئة في يوم العرض من وراء ظهره مهونة له؛ نتيجة إعراضه عن رضا رب العباد، والمؤمن الملتزم بأوامر الله ـ ﷻ ـ ونواهيه يأخذ كتابه من أمامه تكريمًا وتشريفًا له[3].

❁❁❁❁❁

(١) ينظر: تفسير الماتريدي: ١٠/ ٤٧٣

(٢) ينظر: الفواتح الإلهيَّة والمفاتيح الغيبيَّة: ٢/ ٢٩٦

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٢٣

ثانيا: أمام.

أمام: نقيض الوراء، كقدَّام، ويكون اسمًا وظرفًا، وقد تذكَّر هذه الكلمة وقد تؤنَّث، كما وردت في المعاجم العربيَّة(١).

ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم إلَّا مرَّة واحدة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ﴿القيامة: ٥﴾، فجاءت بنفس المعنىٰ للاتِّجاه المعروف الَّذي هو نقيض الوراء.

وتحمل هذه الكلمة دلالات بلاغية عديدة، ومن ذلك: بلاغة الكناية في قوله: ﴿أَمَامَهُۥ﴾ الدَّالة علىٰ الزَّمان الَّذي يحمل الحال والاستقبال، وفيه دلالة علىٰ تكذيب الكافر بيوم البعث، ومواصلة أعماله السَّيئة في حياته الدُّنيويَّة، وعدم الاكتراث لما ينجيه في يوم لا ينفع أحد أحد(٢).

والنَّاظر لهذه الآية يجد شيئًا من عدم مبالاة الكافر لهذا اليوم العصيب، والعناد والإصرار علىٰ الاستمرار في شهواته ورغباته الدَّنيَّة، وهذا فيه دلالة لإنكاره الشَّديد ليوم القيامة.

وكذلك بلاغة الضَّمير المتَّصل في قوله: ﴿أَمَامَهُۥ﴾ العائد للإنسان المستمر علىٰ شهواته ومعاصيه، المغرق في ملذَّاته، المسوِّف للتَّوبة. وقد يكون عائدًا إلىٰ يوم القيامة، فالإنسان ينظر إلىٰ أمامه في زمن وجوده ومن خلفه يوم

(١) ينظر: لسان العرب: مادَّة: أمام.

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ٤٠٠

القيامة، فيستمر علىٰ غيِّه وجهله؛ ناكرًا لهذا اليوم العصيب الَّذي تجتمع فيه الخلق بين يدي الله ﷻ[1].

ومع هذا كلِّه، فهو مستمر علىٰ رغباته الدُّنيوية، ناكرًا ليوم الحساب، فجاءت الكناية مظهرة لضعفه وقدرته؛ لعدم إعماله لعقله الَّذي ميَّزه عن غيره من سائر المخلوقات في تميز الحقِّ من الباطل.

وتظهر بلاغة الفاصلة القرآنيَّة في الآيات الآتية، وهي: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ﴿القيامة: ١ – ٦﴾، فتتحدَّث الآيات الكريمة السَّابقة عن بيان تفصيلي لأهوال يوم القيامة، فبدأ الله ــ ﷻ ــ بالقسم بهذا اليوم العظيم، وكذا بالنَّفس اللَّوامة الَّتي تلوم صاحبها عن الأيام السَّيِّئة الَّتي مضت وانتهت، فيوبِّخ الله ــ ﷻ ــ الكافرين بسؤال يبيِّن فيه عظمته وقدرته بإعادة خلق الإنسان وإحيائه، ومع هذا ينكر الكافر ليوم الحساب والبعث، ويمشي قدمًا نحو ما أملت له نفسه الدَّنيئة، فيسأل بعد ذلك عن هذا اليوم، وبيان شدَّة ندمه عن كلِّ يوم أعرض فيه عن ذكر الله.

فأتت هذه المشاهد ترهيبًا وتخويفًا لهذا اليوم، فناسب الوقف علىٰ هذه الفاصلة، وخصوصًا لهذا الاتِّجاه الَّذي يوحي بعظمة هذا اليوم، والدَّعوة للإيمان باليوم الآخر والتَّذكير بها، والعمل والاستعداد ليوم القيامة.

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٤٠٢

وتتبيَّن بلاغة الاستعارة التَّصريحيَّة في هذا الاتِّجاه، فقد شبَّه يوم القيامة بالجهة الَّتي تكون نصب عينيه ـ أمامه ـ فهو مداوم علىٰ فجوره ومعاصيه في حينه، وفيما يستقبله من الزَّمان[1]، ويلحظ أيضًا اقتران الفعل باللَّام ﴿لِيَفْجُرَ﴾ دلالة علىٰ قوة إرادة الفجور واتِّباع شهواته، وتجدد حدوثها واستمرارها.

وممَّا يدلُّ عليه ـ أيضًا ـ هذا الاتِّجاه في الآية الكريمة؛ تحقق هذا اليوم لا محالة، وهي حقيقة واضحة جليَّة في نفس المؤمن الَّذي يؤمن بالله واليوم الآخر، وهي مناسبة لهذا السِّياق.

❁❁❁❁❁

ثالثًا: جانب.

الجانب هو: شق الإنسان وغيره. وتقول: قعدت إلىٰ جنب فلان، والجمع جنوب وجوانب وجنائب، وأصل معنىٰ الجنب: الجارحة، ثم استعير للنَّاحية التي تليها، كاستعارة سائر الجوارح لذلك، كاليمين والشَّمال[2].

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا، بدلالات متعددة، ومعانٍ مختلفة[3]، ومن ذلك: الجهة المعروفة[4]

(١) ينظر: الكشَّاف: ٤/ ٦٦٠.

(٢) ينظر: لسان العرب: مادَّة: جنب.

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي: ١/ ٣٤١

(٤) قال تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ مريم: ٥٢

والتَّكبُّر[1]، وشق الإنسان[2].

ومن الشَّواهد علىٰ هذه المفردة قول الله ـ ﷻ ـ: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴾ ﴿الإسراء: ٨٣﴾.

ولما تحمل هذه اللَّفظة من دلالات بلاغيَّة، أذكر منها: دلالة الكناية في قوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ﴾ فبعد أن أنعم الله ـ ﷻ ـ علىٰ الإنسان أنعامًا كثيرة لا تعدُّ ولا تحصىٰ، المستوجبة للشكر والدُّعاء، قابل ذلك بالتَّكبُّر والعلوِّ معرضًا بوجهه، والنَّأي بجانبه عن ذكر الله ـ ﷻ ـ وطاعته، وكأنَّه مستغنٍ عن الله ـ ﷻ ـ معجبٌ متبختر بنفسه[3].

وممَّا يلحظ في هذه الكناية بذكر الاتِّجاه ـ جانب ـ نكران الإنسان وجحده لنعم الله ـ ﷻ ـ الَّتي أنعمه إيَّاه؛ ممَّا يدلُّ علىٰ شدَّة جهله، وقوَّة ضلاله.

وتظهر دلالة حرف الجر في هذا الاتِّجاه، الدَّال علىٰ المصاحبة في قوله: ﴿ بِجَانِبِهِۦۖ﴾ للتَّأكيد عن الإعراض؛ لأنَّ الإعراض في حقيقته تولية عرض الوجهة إلىٰ أي ناحية ، والنَّأي بالجانب إلىٰ الجهة المخالفة، فهذا العمل مصاحب للشَّخص المتكبِّر؛ لأنَّه من عادة الأشخاص المتَّصفين بهذه الصِّفات، وكذلك مصاحبة إعراض الإنسان في هذا السِّياق عن الشُّكر والدُّعاء علىٰ نعم الله[4].

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ ﴾ الإسراء: ٨٣

(٢) قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا ﴾ يونس: ١٢

(٣) ينظر: التَّحرير والتَّنوير: ١٥/ ٨٢

(٤) ينظر: فتح القدير: ٣/ ١٠٣

وتتعيَّن بلاغة التَّقابل الخفي في هذه الآية الكريمة بين الخير والشَّرِّ، والأمل واليأس، في بيان حال الإنسان وهو يشكر ويحمد ربَّه علىٰ نعمه، وفيما يقابله من جحد ونكران النِّعمة، وبين أمل الجاحد أن يعدل عمَّا ارتكبه، وعن يأس قد أحاطه واحتواه.

ويلحظ في هذه الآية إثبات نعم الله ـ ﷻ ـ الَّتي أسبغها علىٰ الإنسان ظاهرة وباطنة، الَّتي تستوجب عليه الحمد والشُّكر لا عكس ذلك.

ويلاحظ دلالة الأفعال الماضية في هذه الآية، وهي: ﴿أَنْعَمْنَا﴾ و﴿أَعْرَضَ﴾ و﴿وَنَـَٔا﴾ و﴿مَسَّهُ﴾ و﴿كَانَ﴾ تدلُّ علىٰ تحقق الوقوع، فبعد أن بيَّن الله ـ ﷻ ـ نعمه علىٰ الإنسان المتكبِّر الَّذي أعرض ونأىٰ عن طاعة ربِّه، وعندما مسّه الشَّر يريد الرجوع نادم علىٰ فعلته، فهذه الأمور ثابته متحققة الوقوع.

وممَّا يلحظ ـ أيضًا ـ أنَّ الإنسان في حال الخير يكون متكبرًا، وفي الشَّر يكون ذليلًا صغيرًا أمام الله، فهو لا يعرف ربَّه إلَّا في وقت الأزمات والشدَّة، ولا يعرفه في وقت الرَّخاء والنِّعمة.

ولعلَّ السِّرَّ في قول الله ـ ﷻ ـ بهذا الاتِّجاه دون غيره من الألفاظ، مثلًا (بظهره) وما شابه ذلك، هو أنَّ لفظة ﴿بِجَانِبِهِۦٓ﴾ تدلُّ علىٰ الزِّيادة في الإعراض عن طاعة الله ـ ﷻ ـ ونأيه بجانبه، وهو الجنب كاملًا، تكبُّرًا وعلوًّا، وأمَّا ظهره ـ مثلًا ـ تدلُّ علىٰ جزء يسير من الجسد. والله أعلم.

❁❁❁❁❁

الخاتمة

في ختام بحث (الاتِّجاهات في القرآن الكريم_ مقاصدها وأسرارها البلاغية) توصَّلتُ إلى مجموعة من النَّتائج تتلخص فيما يأتي:

_ من خلال تتبُّع آيات (المشرق) و(المغرب) يظهر ورودها بصيغة الأسماء في ستَّة عشر موضعًا، ولم ترد بصيغة الفعل إلَّا في موضع واحد لكلٍّ منهما، ولعلَّ هذا يرجع إلىٰ مناسبة دلالة الأسماء علىٰ الدَّوام والثُّبوت، فلمَّا كان الأمر يقتضي إثبات ذلك، جاءت بصيغ الأسماء؛ لأنَّه المتصرِّف والمدبِّر لهذ الكون إلىٰ أنْ تقوم السَّاعة.

_ دلَّت لفظة (اليمين) في القرآن الكريم علىٰ معانٍ جميلة وسامية؛ ففيها دلالة علىٰ الخير، والسَّعادة، والتَّفاؤل، والفوز بالجنَّة.

_ يتبيَّن أنَّ لفظة (الشَّمال) في القرآن الكريم جاءت في مقام الذَّم فحسب، دلالة علىٰ كلِّ ذي شرٍّ، وهلاكٍ، وخسرانٍ، وندمٍ علىٰ ما فات.

_ يُلحظ أنَّ ألفاظ (اليمين) أكثر ورودًا من (الشِّمال) في القرآن الكريم، وذلك ممَّا يجلي التَّفاوت بين الدَّلالتين؛ وذلك لارتباط اليمين بالفوز بالجنَّة، والأعمال الصَّالحة، والخير، والبركة. والشِّمال بالخسران، والأعمال السَّيئة، والنَّدامة، والهلاك، ولعلَّ السِّرَّ في ذلك أنَّ المنهج القرآني يدعو إلىٰ الخير، والفلاح، والصَّلاح.

_ يتبيَّن استخدم مفردة (العلو) في الآي الحكيم في مقام العلوِّ، والسُّموِّ، والرِّفعة، والارتفاع.

_ يتَّجه مدلول كلمة (أسفل) في القرآن الكريم عند مخاطبة المنافقين والمشركين إلىٰ صفة الذَّم، فتدلُّ علىٰ الوضاعة، والدُّونيَّة، والانحطاط.

_ بعد التأمُّل والنَّظر في معاني كلمة (دنا) في القرآن الكريم جاءت للاستحقار، والدُّونيَّة، والنَّعيم، والحياة الحاضرة، والانخفاض والنُّزول، والقلَّة كمًّا وكيفًا، والقرب.

_ بعد النَّظر في معاني كلمة (تحت) في القرآن الكريم، تتجه اللَّفظة إلىٰ معاني مختلفة من نعيم وجحيم، وثناء وذمٍّ.

_ تتَّجه خصوصيَّة كلمة (دون) في القرآن الكريم في الغالب الأعمِّ إلىٰ صفة الذَّم من الخسَّة، والدَّناءة، والهوان، والاحتقار، والدُّونيَّة.

_ لم ترد هذه كلمة (أمام) في القرآن الكريم إلَّا مرَّة واحدة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾، فجاءت بنفس المعنىٰ للاتِّجاه المعروف الَّذي هو نقيض الوراء.

_ وردت لفظة (جانب) في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا، بدلالات متعددة، ومعانٍ مختلفة، ومن ذلك: الجهة المعروفة، والتَّكبُّر، وشق الإنسان، والقرب والجوار، والبِّر.

المصادر والمراجع

- البحر المحيط في التَّفسير، لمحمَّد بن يوسف أبو حيَّان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د،ط)، ١٤٢٠هـ.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د،ت،ط)، القاهرة.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د،ت،ط).

- التَّحرير والتَّنوير، لابن عاشور محمَّد الطَّاهر، الدَّار التونسية، تونس، (د،ط) ١٩٨٤م.

- تفسير أبي السُّعود (إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم)، للعمادي بن محمَّد أبو السُّعود، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، (د،ت،ط).

- تفسير السَّمرقندي، المسمَّىٰ بحر العلوم، لأبي اللَّيث بن محمَّد السَّمرقندي، تحقيق وتعليق: الشَّيخ: علي محمَّد معوَّض، والشَّيخ: عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤١٣ه- ١٩٩٣م.

– تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطَّبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

– تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السُّنة)، لمحمَّد بن محمود الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

– التَّلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدِّين محمَّد القزويني، ضبطه وشرحه: عبدالرَّحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، الطَّبعة الأولىٰ، ١٩٠٤م.

– تهذيب اللُّغة، لمحمَّد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.

– جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمَّد بن كثير الطَّبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

– الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمَّد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، الطَّبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

– الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله ـ ﷺ ـ وسننه وأيامه(صحيح البخاري)، لمحمَّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمَّد زهير النَّاصر، دار طوق النَّجاة، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

- ديوان الشَّمَّاخ بن ضرار، حقَّقه وشرحه: صلاح الدِّين الهادي، دار المعارف، مصر، (د،ت،ط).

- ديوان كثيِّر عزَّة، (جمعه وشرحه د. إحسان عبَّاس)، دار الثَّقافة، بيروت، د،ط، ١٣٩١ه ـ ١٩٧١م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، لشهاب الدِّين محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

- شرح المفصل، ليعيش بن علي ابن يعيش، قدَّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت - لبنان، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرىٰ اليمني، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، و مطهر بن علي الإرياني، و د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

- الصِّناعتين، لأبي هلال الحسن العسكري، تحقيق: علي محمَّد البجاوي، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، (د،ط)، المكتبة العنصريَّة، بيروت، ١٤١٩هـ.

- الطِّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيىٰ بن حمزة العلويّ، المكتبة العنصريَّة، بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

– علم البديع _ دراسة تاريخيَّة وفنيَّة لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبدالفتاح فيُّود، مؤسَّسة المختار، القاهرة، (د،ط)، ٢٠١٥م.

– غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدِّين الحسن النِّيسابوري، تحقيق: الشَّيخ: زكريا عميرات، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤١٦ هـ.

– فتح القدير، لمحمَّد بن علي الشَّوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطَّيب، دمشق، بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤١٤ هـ.

– فحولة الشُّعراء، لأبي سعيد بن قريب الأصمعي، تحقيق: المستشرق ش. تورّي، قدَّم لها: الدكتور صلاح الدِّين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطَّبعة الثانية، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

– الفروق اُللغوية، لأبي هلال الحسن العسكري، حقَّقه وعلَّق عليه: محمَّد إبراهيم سليم، دار العلم، (د، ط، ت)، القاهرة.

– الفواتح الإلهيَّة والمفاتح الغيبيَّة الموضحة للكلم القرآنيَّة والحكم الفرقانيَّة، لنعمة الله بن محمود النخجواني، دار ركابي، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

– القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف:

محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطَّبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل، لأبي القاسم محمود الزَّمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطَّبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

- لسان العرب، لمحمَّد جمال الدِّين ابن منظور، ، دار صادر، بيروت، الطَّبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، أبو محمَّد الأندلسي، تحقيق: عبدالسَّلام عبد الشَّافي محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ.

- مختار الصِّحاح، لأبي عبد الله محمَّد الرَّازي، تحقيق: يوسف الشَّيخ محمَّد، المكتبة العصرية - الدَّار النموذجيَّة، بيروت، الطَّبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- معالم التَّنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي)، لأبي محمَّد الفرَّاء البغوي، تحقيق: عبد الرَّزاق المهدي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ.

- معاني النَّحو، لفاضل صالح السَّامرَّائي، دار الفكر، الطَّبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م.

- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربيَّة، مصر، (د،ط)، ١٤٠٩ه.

– المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، لمحمَّد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطَّبعة الأولىٰ، ٢٠١٠م.

– معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

– معجم الفروق الدَّلاليَّة في القرآن الكريم، لمحمَّد محمَّد داود، دار غريب، القاهرة، (د،ط)، ٢٠٠٨م.

– معجم مقاييس الُّلغة، لابن فارس أحمد الرَّازي، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر، (د،ط)، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

– مفاتيح الغيب(التَّفسير الكبير)، لأبي عبدالله محمَّد الرَّازي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطَّبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

– مفتاح العلوم، ليوسف ابن أبي بكر السَّكَّاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، الطَّبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.